العـــدد
التاسع
تُـوزّع مجانا

بيضة

مؤخـرًا، وفـي أقـل مـن أسـبوعين، وقعـت حـوادث قتـل مؤسـفة بيـن أهالـي الخيـام، نتيجـة مواقـف صغيـرة تطـورت إلى إزهـاق أرواح. ومـن بيـن حـالات القتـل التـي وقعـت، حادثـة بـدأت بـخلاف على طابـور الميـاه، حيـن اعتـدى شـاب على آخـر بقضيـب حديـدي، موجّهًـا إليـه عـدة ضربـات على الـرأس، ليرديـه قتيلًا في مكانه.

▪ التتمة ص٣

مجلة دورية تعنى برصد ومعالجة الانعكاسات الاجتماعية لحرب الإبادة «الاسرائيلية» على غزة

اقرأ في هذا العدد

لا للفوضـــى البديلـــة

طالع أيضاً

طـــالع الحكاية

عائلـة حلاوة.. أول مجـزرة فـي زمـن الإبادة على غزة

غزة - فلسطين | سبتمبر ٢٠٢٦

مخيم 09

نحن صوتكم

ينبغي إدراك أن ما وصل إليه المجتمع اليوم ليس منفصلًا عن ظروف الحرب وسياساتها وآثارها المباشرة على بنية المجتمع. والأخطر أن يتحول الفلسطيني، من حيث لا يدري، إلى طرف يكرّس هذا الشرخ بنفسه.

فريق التحرير

حين تضيق الخيام.. خلافات صغيرة تنتهي بالدم!

مخيم - مها إبراهيم

فرضت حرب الإبادة الجماعية على الغزيين واقعًا اجتماعيًا جديدًا، لم يقتصر على فقدان المنازل والنزوح من منطقة إلى أخرى، بل طال طبيعة العلاقات بين الناس، وفرض أنماطًا جديدة من التعايش داخل مخيمات النزوح، التي تحولت إلى مساحات مكتظة يواجه فيها النازحون مشكلات يومية تتعلق بالمساحة والخصوصية والمياه والخدمات، فضلًا عن الخلافات العائلية والمناطقية التي بدأت تظهر بصورة أكثر وضوحًا.

مؤخرًا، وفي أقل من أسبوعين، وقعت حوادث قتل مؤسفة بين أهالي الخيام، نتيجة مواقف صغيرة تطورت إلى إزهاق أرواح. ومن بين حالات القتل التي وقعت، حادثة بدأت بخلاف على طابور المياه، حين اعتدى شاب على آخر بقضيب حديدي، موجّهًا إليه عدة ضربات على الرأس، ليرديه قتيلًا في مكانه.

هذه الحادثة وغيرها من الحوادث تعكس حجم الضيق والفوضى التي يعيشها سكان الخيام في غزة. وليس بالضرورة أن يكون واقع الخيام قد تحول إلى غابة يأكل فيها القوي الضعيف، لكن وقوع عدة حالات قتل يدق ناقوس الخطر أمام الجميع، وينبّه إلى أننا أمام حالة من الفوضى المجتمعية يجب تداركها في أسرع وقت ممكن.

خلاف بين طفلين يحرق خيمتين

في أحد مخيمات النازحين المقامة في محيط جامعة الأزهر بمدينة غزة، بدأت الحكاية بخلاف بسيط بين طفلين، لكنها سرعان ما تحولت إلى شجار بين عائلتين، وانتهت بإتلاف خيمتيهما حرقًا.

بدأت القصة عندما أخذ الطفل أكرم عبد القادر، البالغ من العمر سبعة أعوام، "خبزة محشوة بالمربى" من الطفل ياسر، البالغ من العمر ستة أعوام، فما كان من الأخير إلا أن دخل في نوبة بكاء، حتى خرج والده من الخيمة ليستطلع ما حدث. وحين عرف أن أكرم أخذ خبزة ابنه، لطمه على وجهه، الأمر الذي دفع أكرم إلى الإسراع نحو والده والشكوى مما جرى.

خرج والد أكرم غاضبًا من خيمته، وبدأ يردد: "وينه أبو عقل صغير؟" في إشارة إلى والد ياسر، لتتطور المشادة بين الرجلين سريعًا من عتاب على خلاف بين طفلين إلى تبادل للشتائم والضرب بالأيدي، قبل أن يحاول كل طرف الاعتداء على خيمة الآخر، وانتهى الأمر بتدمير وإحراق إحدى الخيمتين.

يقول والد الطفل أكرم: "أكره ما عليّ أن أولادي يطلعوا من الخيمة. على أقل غلطة بين الأطفال بتصير مشكلة، وأحيانًا بتوصل لطوشة كبيرة، زي اللي صارت معنا. كذا مرة ييجي ابني مضروب من أقرانه، أسكت وما أعمل قصص؛ لأنه المشاكل ما بتلاحقنا".

ويكمل الرجل، الذي كان يعمل محاسبًا فيما مضى ولديه أربعة أطفال: «عيشة الخيمة، عيشة صعبة جدًا ومذلة. فوق ما هي صعبة، إحنا بنصعبها على حالنا. إذا كان قبل الحرب عنا شوية أخلاق، الآن في الخيام ومراكز الإيواء محتاجين أخلاق مضاعفة عشرات المرات والوعي التام لنتجنب حالات الصدام».

ويختـم المحاسـب: "الحمـد للـه إنهـا إجـت على قـد حـرق وإتلاف خيمـة، مـا حـدا فينـا مـات أو انقتـل. صـار أملـي فـي الحيـاة إنـه مـا تصيـر معـي مشـاكل أنـا وأولادي. هـي أقصـى طموحـي الفتـرة هـذه، بعـد مـا كان عندي شقة وسيارة وعمل".

طوشة نسوان

فـي مـرة، وقعـت "طوشـة نسـوان" على خلفيـة خلاف حـول الميـاه السـاخنة فـي الشـتاء الماضـي، حيـن قـررت «نسـمة»، البالغـة مـن العمـر 22 عامًـا، أن تسـخّن «طنجـرة مـاء» للاسـتحمام. غابـت نحـو ربـع سـاعة لتسـتريح داخل خيمتها، وعندما خرجت لتأخذ الطنجرة، لم تجدها.

بقيـت تراقـب المـكان فـي المخيـم، حتـى رأت جارتهـا "نسـرين" وهـي تأخـذ الطنجـرة، وحيـن سـألتها: «لمـاذا أخـذتِ المـاء مـن دون إذن؟ وكيـف تجـرأتِ على ذلـك وأنـت تعلميـن أن الحطـب غـالٍ وغيـر متوفـر؟»، بـدأت أصواتهما ترتفع، قبل أن تخرج والدة نسرين من خيمتها لتوبّخ نسمة وتحاول الاعتداء عليها بالضرب.

استشـاطت نسـمة غضبًـا، لتتطـور المشـادة إلى اعتـداء بالضـرب، قبـل أن يخـرج ابـن السـيدة ويكيـل لنسـمة الشتائم والألفاظ النابية، وينعتها بـ"النازحة"، رغم أنه هو الآخر نازح.

عـاد شـقيق نسـمة إلى المخيـم مـن عملـه فـي وقـت متأخـر مـن الليـل، وبعـد أن سـأل الجيـران عمـا جـرى، أخبـروه بتفاصيـل الـخلاف ومـا تعرضـت لـه شـقيقته. ومـا إن سـمع القصـة حتـى خـرج غاضبًـا باتجـاه خيمـة العائلـة الأخـرى، محـاولًا تدميرهـا وإحراقهـا، كمـا اعتـدى بالضـرب على شـقيق الفتـاة، وحـاول قتلـه حيـن رفـع عليه " "السكين"، لكن تدخل الجيران أنقذ الموقف، وتم ترحيل العائلتين من المكان.

تقـول نسـمة: "تعرضـت لأحـداث كثيـرة، وكنـت أتجنـب الـرد خوفًـا مـن تطـور المشـكلة، لكـن هـذه المـرة جـرى الاعتداء عليّ من كل أطراف العيلة، والصراحة ما توقعت ردة فعل أخويا".

نسـمة خريجـة هندسـة، ولـم يحصـل يومًـا أن وقعـت بينهـا وبيـن أحـد مشـاجرة، حتـى كلاميـة منهـا. وتكمـل: «قبـل الحـرب، مـن كثـر مـا أنـا مسـالمة، كل اللـي حولـي يحكولـي: اسـم على مسـمى. دايمًـا أنـا بنـت مبتسـمة وبحالي. هذه المرة انصدمت من اللي تعرضت له، حاسة حالي في غابة والقوي بيأكل الضعيف.

جريمة مركبة!

هـذه حكايـة تكـررت تحـت وطـأة الإبـادة أكثـر مـن مـرة، فالجـوع فـرض سـلوكيات جديـدة لـم يعتدهـا الغزيـون، حتى داخل العائلة الواحدة.

كان "سـمير" - اسـم مسـتعار - أقـدم على الاعتـداء على عمتـه العزبـاء، وهـي كبيـرة فـي السـن، لسـرقة مصاغهـا في الخيمة، مستغلًا غياب الجميع وانشغالهم بالأمور الحياتية.

لكـن صـراخ عمتـه "العجـوز" كان قويًـا، مـا تسـبب فـي تدخـل سـريع مـن الأهـل لفـض الاشـتباك وتخليصهـا مـن بيـن يديـه؛ فقـد كان يحـاول خنقهـا وسـرقة مصاغهـا، وكان مبـرره: «بـأي لحظـة ممكـن نمـوت، وفـي حرامية، وأنا أولى من غيري بذهب عمتي".

أفزعـت الحادثـة أفـراد العائلـة ومـن حولهـم، وباتـت عيـون كثيـرة تراقـب تحـركات الشـباب خشـية تكـرار الواقعـة، لكـن هـذه القصـة لـم تكـن الوحيـدة؛ ففـي ظـل الجـوع والحرمـان وضغـط الحيـاة داخـل الخيـام، تتكـرر يوميًـا حكايـات أخـرى، بعضهـا يبـدأ بالطمـع وينتهـي بـخلاف أو اعتـداء، فـي واقـع لـم يألفـه الغزيـون قبـل الحرب

الوساطة والإصلاح

هنـا، يقـول رئيـس التجمـع الوطنـي للقبائـل والعشـائر والعـائلات الفلسـطينية، المحامـي علاء الديـن العكلـوك، إن الإبـادة الجماعيـة والنـزوح القسـري فرضـا واقعًـا اجتماعيًـا جديـدًا على سـكان قطـاع غـزة، مشـيرًا إلى أن نحـو مليونـي فلسـطيني تعرضـوا للنـزوح، وأصبحـوا يعيشـون على مسـاحة محـدودة بعدمـا سـيطر الاحـتلال على نحـو 60% مـن الأرض، ولـم يتبـقَّ سـوى نحـو 40%، تحولـت قرابـة 25% منهـا إلى ركام، فيمـا توزعـت الـ25% المتبقية بين النازحين والمواطنين، بينما تشغل مخيمات النزوح نحو 12% من المساحة.

وأوضـح العكلـوك لمجلـة "المخيـم" أن هـذا الاكتظـاظ داخـل المخيمـات خلـق مشـكلات يوميـة تتعلـق بالمسـاحات، ومداخـل الخيـام، والممـرات، ومصـادر الميـاه، ودورات الميـاه، وأماكـن الطهـي، والضوضـاء، والخصوصية، إضافة إلى الخلافات بين الأطفال والنساء والعائلات، وتلك المرتبطة بتوزيع المساعدات.
وأشـار إلى أن بعـض الإشـكاليات باتـت تظهـر بيـن الأقـارب أنفسـهم نتيجـة تجمـع العـائلات فـي أماكـن نـزوح واحـدة، فـضلًا عـن بـروز حساسـيات مناطقيـة بيـن أبنـاء المناطـق المختلفـة، محـذرًا مـن خطـورة ذلـك على النسيج الاجتماعي.
وبيّـن أن مخيمـات النـزوح شـهدت تشـكيل لجـان مصالحـة مجتمعيـة وإصلاحيـة للتدخـل فـي الخلافـات واحتوائهـا قبـل تفاقمهـا، مؤكـدًا أن العـائلات والعشـائر والوجهـاء يمكـن أن يـؤدوا دورًا مهمًـا فـي الوسـاطة والإصلاح، لكنهم لا يمكن أن يحلوا محل القانون.
ولفـت العكلـوك إلى أن النازحيـن بـدأوا منـذ الأيـام الأولى للنـزوح باللجـوء إلى الوجهـاء والقيـادات المجتمعيـة لحـل الخلافـات، مشـددًا على أن اللجـوء إلى العنـف أو الـسلاح لا يمثـل العائلـة أو العشـيرة، ولا يجـوز أن يتحـول دور العشائر إلى حماية المعتدي أو تعطيل القانون.

جريمة مركبة!

وحـذر مـن خطـورة تحـول الخلافـات البسـيطة إلى جرائـم قتـل، موضحًـا أن الحـرب ومـا خلفتـه مـن فقـدان للمنـازل والأحبـة ومصـادر الـرزق، إلى جانـب الخـوف والنـزوح والحرمـان، رفعـت مسـتويات التوتـر والانفعـال لدى الناس، لكنه أكد أن ذلك يفسر العنف ولا يبرره.
وأضـاف أن هنـاك ضغوطًـا باتجـاه تنفيـذ أحـكام الإعـدام بحـق مرتكبـي جرائـم القتـل، مؤكـدًا ضـرورة معالجـة هذه القضايا ضمن إطار القانون، ومنع الثأر والانتقام واحتواء عائلات الضحايا.
وأكـد أن تعزيـز الأمـن المجتمعـي يتطلـب مؤسسـات قـادرة على تطبيـق القانـون، وتفعيـل لجـان الإصلاح داخـل المخيمـات، وتنظيـم أماكـن النـزوح والخدمـات، إلى جانـب توفيـر الدعـم النفسـي والاجتماعـي، خصوصًـا للأطفال والشباب.
وشـدد العكلـوك على ضـرورة توحيـد الرسـالة المجتمعيـة فـي مواجهـة هـذه الظواهـر: لا للـسلاح فـي الخلافـات، ولا للثـأر والانتقـام، ولا لتغطيـة الجريمـة تحـت أي عنـوان عائلـي أو عشـائري، مؤكـدًا أن الحفـاظ على النسـيج الاجتماعي والأمن المجتمعي لا يقل أهمية عن توفير الغذاء والماء والمأوى.

لا لشريعـــة الغـــاب..
لا للفوضى البديلة

حيـن سـقط الاتحـاد السـوفياتي فـي بدايـة تسـعينيات القـرن الماضـي، حكمـت عصابـات "المافيـا" الـبلاد لسـنوات، فسـقط الأمـن والأمـان فـي دولـة كانـت اشـتراكية قوميـة متماسـكة اجتماعيًـا. وانتشـرت الفوضـى وجرائـم القتـل والسـرقة والسـلب، إلى جانـب جرائـم أخـرى مركبـة وفرديـة، حتـى وصـل الأمـر إلى أن الرجـل لـم يعد يستطيع السير مع زوجته في الشارع، خوفًا من قتله أو اختطاف زوجته والاعتداء عليها.

ومـع بدايـة اسـتعادة النظـام الروسـي عافيتـه، أطلقـت السـلطات حملـة واسـعة ضـد زعمـاء ورجـال "المافيـا". واشـتهرت عـن الرئيـس الروسـي فلاديميـر بوتيـن، الـذي كان حينهـا مسـؤولًا أمنيًـا وضابطًـا سـابقًا فـي جهـاز الاسـتخبارات، عبـارة مفادهـا: "سـنلاحقهم حتـى لـو اختبـؤوا فـي المراحيـض". وخلال فتـرة وجيـزة، تمكـن النظـام من استعادة قدر كبير من السيطرة الأمنية على البلاد.

ولأن الشـيء بالشـيء يُذكـر، سـعت إسـرائيل منـذ الأيـام الأولى لحربهـا على غـزة إلى إحـداث مـا يمكـن وصفـه بـ"الفوضـى البديلـة"، عوضًـا عـن النظـام القائـم فـي القطـاع، بهـدف الدفـع نحـو انهيـار المجتمـع الغـزي مـن الداخل بأسرع ما يمكن، بما يخدم مخططات التهجير وغيرها من الأهداف.

بـدأ ذلـك بتدميـر المنشـآت الأمنيـة والشـرطية، وملاحقـة ضبـاط وعناصـر الشـرطة واسـتهدافهم فـي مواقـع مختلفة، حتى طالت عمليات القتل أفراد شرطة المرور.

وتزامـن ذلـك مـع اسـتهداف رجـال الإصلاح وكبـار العـائلات، فـي وقـت اتُّهمـت فيـه إسـرائيل بدعـم مجموعات خارجـة عـن القانـون، وتوفيـر غطـاء مـادي ولوجسـتي لبعـض المطلوبيـن والهاربيـن مـن السـجون، وتعزيـز ظاهرة قطع الطرق، إلى جانب دعم مجموعات وعائلات ذات سلوك عدواني داخل مخيمات النزوح.

فـي مرحلـة لاحقـة، وصـل الأمـر إلى تشـكيل مليشـيات موزعـة فـي خمـس نقـاط، ومـزودة بالأسـلحة والإمكانـات، بمـا يسـمح لهـا بالحفـاظ على قـوة ميدانيـة مسـتمرة، فـي ظـل توفيـر غطـاء إسـرائيلي جـوي لأي تحرك لها.

فـي مرحلـة لاحقـة، وصـل الأمـر إلى تشـكيل مليشـيات موزعـة فـي خمـس نقـاط، ومـزودة بالأسـلحة والإمكانـات، بمـا يسـمح لهـا بالحفـاظ على قـوة ميدانيـة مسـتمرة، فـي ظـل توفيـر غطـاء إسـرائيلي جـوي لأي تحرك لها.

ولا شـك أن هـذه الإجـراءات الإسـرائيلية أحدثـت اضطرابًـا عميقًـا فـي البنيـة المجتمعيـة داخـل غـزة، ووصلـت تداعياتهـا إلى وقـوع حـوادث قتـل متعمـد لأسـباب بالغـة البسـاطة، مـن بينهـا خلافـات على أدوار الاصطفـاف فـي طوابيـر الميـاه، فـضلًا عـن حـوادث أخـرى وقعـت فـي مناطـق متفرقـة مـن القطـاع لأسـباب تبـدو فـي ظاهرها، بسيطة ولا تستحق أن تنتهي بالعنف أو القتل.

مـن خلال المتابعـة الميدانيـة ورصـد مـا يتداولـه السـكان على مواقـع التواصـل الاجتماعـي، توصـل فريـق العمـل إلى أن المشـاجرات داخـل مخيمـات النـزوح، والخلافـات بيـن العـائلات والجيـران، باتـت جـزءًا مـن الحياة اليومية لكثير من سكان الخيام.

وأمـام هـذا الواقـع، نـدرك أن ظـروف الحيـاة فـي الخيمـة، صيفًـا وشـتاءً، لا تتـرك مسـاحة كافيـة للأخلاق والوعـي كـي يمضيـا فـي مسـارهما الطبيعـي. لكـن ذلـك لا يعنـي مطلقًـا أن يكـون البديـل هـو العنـف أو التشاجر المستمر.

فالجيران الجدد، وحالة الاغتراب الداخلي التي يعيشها معظم النازحين، تضع الناس بصورة دائمة في حالة من الترقب والحذر تجاه الآخر. ومع ذلك، ينبغي للفلسطيني أن يدرك أن المجتمع الفلسطيني، بمختلف مكوناته وأطيافه وظروفه، مجتمع متجذر في منظومة واسعة من الأعراف الاجتماعية، وأن كبيره وصغيره يعرفان تفاصيل دقيقة من قواعد العيش المشترك وحل الخلافات.

وقبل حرب الإبادة، كانت حالات القتل والبلطجة محدودة ونادرة، ولا تكاد تشكل ظاهرة اجتماعية واسعة.

لذلك، ينبغي إدراك أن ما وصل إليه المجتمع اليوم ليس منفصلًا عن ظروف الحرب وسياساتها وآثارها المباشرة على بنية المجتمع. والأخطر أن يتحول الفلسطيني، من حيث لا يدري، إلى طرف يكرّس هذا الشرخ بنفسه.

فحين يتحول أي خلاف بين الجيران إلى مواجهة، وحين تكون الاستجابة الأولى للمشكلة هي الهجوم والعنف، فإننا نمنح الفوضى مساحة أكبر، ونساعد، من حيث لا نقصد، في تحقيق النتيجة التي تريدها إسرائيل: مجتمع منهك، متشظٍ، يفقد قدرته على التماسك الداخلي.

أما بشأن الخطوات العملية المطلوبة لتصحيح المسار المجتمعي، وتعزيز آليات ضبط الخلافات وحماية النسيج الاجتماعي في ظل النزوح والحرب، فيمكن الرجوع إلى ما طرحه رئيس التجمع الوطني للقبائل والعشائر والعائلات الفلسطينية، المحامي علاء الدين العكلوك.

الخيمة في غزة..
مأوى مؤقت طال أمده

مخيم - أحمد أبو قمر

تحولت الخيمة في قطاع غزة من مجرد مأوى مؤقت فرضه النزوح على مئات الآلاف من الفلسطينيين إلى عنوان لمعاناة ممتدة، بعدما لازمت العائلات النازحة قرابة ثلاث سنوات في ظروف قاسية تفتقر إلى أبسط مقومات الحياة.

وبين أقمشة لا تقي برد الشتاء ولا حر الصيف، يعيش الفلسطينيون يوميات مثقلة بالخوف والفقدان وشح الاحتياجات الأساسية، فيما يترقبون نهاية واقع النزوح والعودة إلى حياة مستقرة لم تعد ملامحها واضحة.

وفي مناطق النزوح، تتراص الخيام إلى جوار بعضها بعضا، لتشكل تجمعات سكنية جديدة نشأت قسرا وسط الحرب والدمار. وفي هذا الواقع لم تعد المعاناة فردية، فالجار يشارك جاره تفاصيل يومه من تأمين المياه والطعام إلى مواجهة المرض والبرد والحرارة، حتى باتت العلاقات بين سكان الخيام أشبه بعائلة واحدة تجمعها ظروف النزوح وتقاسم الألم.

وبينما فقد كثيرون منازلهم ومصادر رزقهم، وجدوا في هذا التقارب الاجتماعي شكلا من أشكال السند في مواجهة حياة قاسية.

ولم تتوقف آثار الخيمة عند الجانب الإنساني والاجتماعي، إذ امتدت إلى الاقتصاد أيضا. فمع تدمير المنشآت وتعطل الأسواق وتراجع فرص العمل، نشأت حول الخيام أنشطة صغيرة أُطلق عليها "اقتصاد الخيمة"، تقوم على بيع الطعام والمياه وشحن الهواتف ونقل المساعدات وإصلاح الأجهزة والخياطة وغيرها من الأعمال البسيطة.

وفي ظل غياب مصادر الدخل التقليدية، أصبحت هذه الأنشطة بالنسبة إلى كثير من الأسر محاولة لتأمين الحد الأدنى من متطلبات الحياة.
من مدينة رفح جنوب قطاع غزة، نزحت نسرين الجمل إلى منطقة مواصي خانيونس، حيث وجدت نفسها تعيش حياة مختلفة تماما عن تلك التي عرفتها قبل الحرب. تقول إن الخيمة لم تعد بالنسبة إليها مجرد مكان للنوم وإنما أصبحت واقعا يوميا يفرض نفسه على كل تفاصيل الحياة، من الاستيقاظ صباحا إلى محاولة تأمين الطعام والمياه والخصوصية لأفراد الأسرة.
وتصف نسرين الحياة داخل الخيمة بأنها مأساة متواصلة، خصوصا مع صعوبة مواجهة الظروف الجوية وغياب الخدمات الأساسية.
وتوضح أن أكثر ما يثقل حياة النازحين هو الإحساس بأن المؤقت طال أكثر مما يحتمل، وأن الخيمة التي كان يفترض أن تكون محطة عابرة تحولت إلى مسكن طويل الأمد. وتشير إلى أن العائلات تعيش في مساحة ضيقة وسط نقص الاحتياجات الأساسية وتواجه يوميا صعوبات تتعلق بالنظافة والمياه والكهرباء والحرارة والبرد، بينما يبقى حلم العودة إلى المنازل حاضرا رغم الدمار الذي لحق بها.
لكن وسط هذه الظروف القاسية، ترى نسرين جانبا اجتماعيا مختلفا نشأ بين النازحين. فالخيام المتجاورة جعلت الجيران أكثر قربا من بعضهم بعضا وأصبحوا يتقاسمون الأفراح القليلة والأحزان الكثيرة ويساعد بعضهم بعضا في تدبير شؤون الحياة اليومية.
وتقول إن الجار بات في كثير من الأحيان بمثابة فرد من العائلة، بعدما فرض النزوح واقعا جعل الناس أكثر اعتمادا على بعضهم في مواجهة قسوة الحياة داخل الخيام.

خيمة تتوارثها الذاكرة

بالنسبة إلى المواطن عائد سعفان، لا تبدو الخيمة مشهدا جديدا في الذاكرة الفلسطينية، فهي تحمل بالنسبة إليه معنى يتجاوز النزوح الحالي. ويتحدث عن ارتباطها بتاريخ الفلسطيني منذ عام 1948، مستحضرا قصة جده الذي عاش في الخيمة سنوات بعد هجرته من بلدته المحتلة "يبنا". ويرى أن ما يحدث اليوم يعيد إلى الواجهة صورة قديمة من صور التهجير، وكأن الخيمة التي عرفها جيل النكبة عادت لترافق جيلا جديدا من الفلسطينيين.
ويقول سعفان إن الفلسطيني يبدو وكأنه كُتب عليه أن يعيش المعاناة جيلا بعد جيل، حتى باتت الخيمة مرتبطة بتاريخه وحاضره وماضيه. "فبعد عقود طويلة من التهجير واللجوء، يجد الفلسطيني نفسه مرة أخرى داخل خيمة يبحث فيها عن الأمان الذي افتقده في منزله، ويواجه فيها ظروفا قاسية تذكره بأن مأساة النزوح لم تنتهِ وإنما تتخذ أشكالا جديدة مع مرور السنوات".
ويشير إلى أن المعاناة المستمرة لا تقتصر على فقدان المكان وإنما تشمل الإحساس بأن العالم يقف متفرجا أمام هذا الواقع. فبين خيمة وأخرى تتكرر تفاصيل الألم فيما تستمر العائلات في محاولة التكيف مع واقع لم تختره.
وبالنسبة لعائد، فإن استمرار الحياة داخل الخيام يعكس حجم المأساة التي يعيشها الفلسطيني ويجعل من الخيمة رمزا لمعاناة ممتدة تتقاطع فيها ذاكرة الماضي مع قسوة الحاضر.
وإلى جانب الأبعاد الإنسانية والاجتماعية للنزوح، أنتجت الخيام نمطا اقتصاديا جديدا يمكن وصفه بـ"اقتصاد الخيمة"، فقد أدى استمرار الحرب إلى انهيار واسع في مصادر الدخل التقليدية نتيجة تدمير المنشآت وتعطل الأسواق وسلاسل التوريد وتراجع فرص العمل.
ومع انتشار الخيام، ظهرت أنشطة اقتصادية صغيرة تستجيب للاحتياجات اليومية للنازحين، مثل بيع الطعام والمياه وشحن الهواتف ونقل المساعدات وإصلاح الأجهزة والخياطة.

ورغم محدودية هذه الأعمال وعدم استقرار دخلها، فإنها أصبحت بالنسبة إلى كثير من الأسر وسيلة ضرورية للبقاء، فغياب الوظائف التقليدية دفع أشخاصا إلى البحث عن أي نشاط يمكن أن يوفر دخلا يوميا ولو كان بسيطا.

وهكذا انتقل النشاط الاقتصادي من المصانع والمتاجر والورش والمؤسسات إلى مبادرات فردية صغيرة مرتبطة مباشرة باحتياجات سكان الخيام.

لكن هذا الاقتصاد الهش لا يستطيع أن يحل محل الاقتصاد الحقيقي، إذ يفتقر إلى قاعدة إنتاجية مستقرة والتمويل والأسواق وسلاسل التوريد القادرة على النمو.

وتشير بيانات البنك الدولي إلى انكماش اقتصاد غزة بنسبة 83% عام 2024، وبلوغ البطالة 78% خلال 2025، وهو ما يعكس حجم الانهيار الاقتصادي الذي دفع السكان إلى البحث عن أي وسيلة ممكنة للاستمرار.

وبينما تتحول الخيمة إلى مساحة للسكن والعمل والتكافل الاجتماعي، تبقى في جوهرها شاهدة على واقع إنساني قاسي، فهي مأوى يحاول الناس داخله حماية ما تبقى من حياتهم ومكان تتجاور فيه الأسر وتتشارك المعاناة ونقطة تنشأ حولها أنشطة اقتصادية بسيطة.

عائلــة حـــلاوة..

أول مجزرة في زمن الإبادة على غزة

مخيم - حمزة أبو الطرابيش

سجلت مجزرة عائلة حلاوة، في مخيم جباليا، على أنها أول مذبحة في تاريخ الإبادة التي امتدت لـ 15 شهراً، قبل أن التوصل لاتفاق وقف إطلاق النار، بصيغة أبسط عائلة حلاوة هي أول عائلة شطبت من السجل المدني بجانب 10 آلاف عائلة مسحت من السجل وفق التقدير الأولي لوزارة الصحة الفلسطينية.

كنا نقف، في الصيف، صغاراً وكباراً، طوابير أمام منزل الحاج فوزي حلاوة الواقع في قلب شارع الهوجا في مخيم جباليا، لشراء البطيخ، أزعم أنني أكلت أفضل بطيخ أنتجته السلة الغذائية العالمية خلال القرن الأخير، إذ كان الحاج فوزي أشهر بائعي الفواكه والخضروات في المخيم. ولا أعلم مصدر منتجاته، ربما كان يزرعها بيده، المهم أن جودتها عالية وطعمها لذيذ جداً، حتى إنّه كان مقصداً للقادمين من أماكن بعيدة بمختلف مناطق محافظات قطاع غزة، لشراء البطيخ منه.

ويعد الحاج فوزي أكبر مُعمر في المخيم، وقد وصل عمره إلى 112 عاماً، وهو من بلدة هوج المحتلة، شهد في شبابه النكبة عام 1948، كان يعمل معه أبناؤه وأحفاده، ويساعدهم الجيران من شدة ازدحام الناس أو المشترين، وخاصة بعد صلاة يوم الجمعة، فمن طقوس العوائل الفلسطينية في ذلك اليوم أنهم يعدون أشهى الطعام ويجتمعون على مائدة واحدة، ثم يتبعونها بالحلوى أو تناول الفواكه مثل البطيخ والشمام صيفاً.

تعد عائلة حلاوة من العوائل العملية المسالمة في مخيم جباليا، لم أذكر يوماً، رغم كثرة أعدادهم، أنهم افتعلوا مشكلة أو عراكاً مع الجيران أو أبناء الحي. تقريباً عائلة حلاوة نموذج للأخلاق والهدوء والسعي الدؤوب للعمل. ويأخذ المنزل الذي تعيش فيه تلك العائلة شكلاً طولياً، فهو مكون من طابق واحد غير الأرضي الذي خُصصت نسبة كبيرة منها كمخازن لتجارة العائلة.

في الطابق الأرضي يعيش الابن الأكبر للحاج فوزي، يدعى عاطف "61 عاماً"، وزوجته فريال "51 عاماً"، وأبناؤهم ستة، الكبير محمد "36 عاماً"، يعمل سائق أجرة، متزوج من عبير أبو صفية "30 عاماً" ولديهما طفلة صغيرة عمرها عام ونصف اسمها جوري، والابن الثاني محمود "31 عاماً" يعمل رجل مرور، متزوج من ابنة عمه هبة "24 عاماً"، لديه طفلان؛ مالك عامان والرضيغة ملك تسعة أشهر. والابن الثالث أحمد "27 عاماً" أنهى دراسة المحاسبة ولم يجد فرصة عمل، ورابعهم أيمن "25 عاماً"، يعمل مع أعمامه في السوق، والخامس هي عطاف "15 عاماً"، وصغيرهم يوسف "12 عاماً". وتعيش معهم أيضا المُسنة (محضية) "95 عاماً"، وهي شقيقة الجد فوزي.

وللإشارة تعد عائلة حلاوة من العوائل المُعمرة، أي هناك طفرة جينية تتميز بها تلك العائلة تمكنهم من العيش طويلاً خلافاً للعمر المتوسط في الشعوب العربية أو الشرق أوسطية، إذ يموت أو يرحل الفرد من عائلة حلاوة بعد أن يبلغ قرناً كاملاً تقريباً.

عودة لتوزيع العائلة في المنزل، الطابق الأول مقسم إلى شقتين، من جهة الشرق، شقة عبد الحليم الابن الثاني للحاج فوزي، عمره "56 عاماً" وزوجته سهام "53 عاماً"، لديهما من الأبناء هبة متزوجة من محمود ابن عطاف المذكورة سلفاً، وهناء "23 عاماً". فيما الجزء الثاني من الجهة الغربية، يعيش فيه الابن الأخير للحاج فوزي، وهو هاني "48 عاماً" وزوجته إيمان "46 عاماً"، وأبناؤهم الستة، عبد الله "21 عاماً"، تهاني "24 عاماً"، بلال "20 عاماً"، سندس "19 عاماً"، وسجى "12 عاماً" ونادر تسعة أعوام.

في اليوم التالي من الإبادة لجأ إلى ذلك المنزل المكتظ بالأطفال والنساء، أحد أبناء عموتهم وهو ناجي "47 عاماً" وزوجته أمل "40 عاماً" وأطفالهم الخمسة. كما لجأت إليهم ابنة عمهم أميرة "38 عاماً" وزوجها ميزر "42 عاماً" وأبناؤها السبعة، أكبرهم محمد "19 عاماً"، وأصغرهم الرضيع عبد الجواد ستة أشهر.

وفي الليلة الخامسة من الإبادة، أي في 12 أكتوبر 2023، جلست العائلة جميعها في شقة عبد الحليم، تقريباً أكثر من 35 شخصاً في تلك الغرفة الواسعة، باستثناء أحمد ومحمود أبناء عاطف. يقول عبد الله ابن هاني، وهو وريث جده في بيع الخضروات والفواكه: "كنا نجلس مع بعضنا، نحاول نطرد الخوف عن الأطفال، وفجأة غبت عن الوعي للحظة، وحين استيقظت، وجدت ظلمة شديدة وصراخاً من كل اتجاه". هذه شهادة حية لعبد الله في اللحظات الأولى حين أسقطت طائرة حربية إسرائيلية صاروخاً يزن طناً على منزل عائلة حلاوة، لتقتل من فيه من نساء وأطفال ورجال، ونجا فقط عبد الله وابنة عمه هناء ابنة عبد الحليم.

استجمع عبد الله قواه رغم إصابته، وحاول مساعدة رجال الإسعاف والجيران في نقل المصابين، وإرشادهم إلى أماكن جلوس العائلة، ولكن حين وجد جثة والده سقط مغشياً عليه. يُكمل عبد الله: "أخبروني بأنني أصبت بحالة هستيرية، أعطوني مهدئاً في المشفى، أذكر أنني استيقظت بعد أسبوعين من الصدمة والإرهاق الجسدي".

أبناء الحي دفنوا جميع ضحايا عائلة حلاوة في أربعة قبور متصلة في مقبرة بيت لاهيا، ولحسن الحظ أن طواقم آليات الدفاع المدني في الأسابيع الأولى من الإبادة كانت جيدة ولم تتعرض للاستهدافات، لذلك كان من السهل عليهم استخراج جميع الجثث.

بعدما تعافى عبد الله بشكل تدريجي، أخذ ابنة عمه الناجية الوحيدة، ونزح إلى جنوب القطاع، لكن تعرّض لصدمة ثانية في مايو 2024، حين جاء خبر ارتقاء ابن عمه أحمد، الناجي الوحيد من عائلة عمه عاطف، وكان ذلك في الاجتياح الثاني أو الثالث لمخيم جباليا، ثم جاء الخبر الثاني باعتقال رجل المرور محمود وحتى اللحظة مصيره مجهول.

مع وقف الاحتلال الإسرائيلي حرب الإبادة على غزة، عاد عبد الله إلى منزله في المخيم، لكنه وجد مكان المنزل أرضاً قاحلة بعد ما جرفته الآليات العسكرية التي تمركزت لمئة يوماً في مخيم جباليا أثناء الحملة العسكرية التي انتهت في منتصف يناير المنصرم من العام الجاري، ما جعله يسعى خلال هذه الأيام للبحث عن أدوات من الخشب والأقمشة لتشييد خيمة صغيرة فوق منزله الذي أصبح أرضاً فارغة مملوءة بالذكريات بالنسبة لعبد الله، منتظراً الإفراج عن ابن عمه محمود، عسى أن يجد أحداً من بني جلدته يواسيه في وحدته وقهره.

يختم عبد الله حديثه في رسالة نصية أرسلها لي: "لا أعلم ما هي الحكمة من البقاء حياً لوحدي أو نجاتي من تلك الليلة، ولكن، سأبقى على عهد جدي وعائلتي، بأن أكون رجلاً صالحاً وأن أتمسك بمهنة بيع الفواكه والخضروات، فهذا إرث عائلي سأحافظ عليه".

ملاحظة: هذه القصة من كتاب مجارز مخيم جباليا التي صدر في فبراير 2026، وقد كتبت هذه القصة في ديسمبر 2024.

تعرف على منطقتك

القـــــــرارة..
أعلى منطقة في قطاع غزة

لـم تـأتِ تسـمية القـرارة مـن فـراغ؛ فالاسـم يرتبـط فـي العربيـة بـ"القـرار"، أي المـكان المسـتقر والثابـت مـن الأرض، كما يطلق على الأرض المنخفضة أو القاع المستدير الذي تتجمع فيه مياه الأمطار.

وهكـذا حملـت البلـدة الواقعـة شـمال مدينـة خـان يونـس، جنـوب قطـاع غـزة، اسـما يشـبه طبيعتهـا؛ أرضـا زراعيـة عُرفـت بخصوبـة تربتهـا، وارتبطـت الزراعـة لعقـود طويلـة بحيـاة سـكانها واقتصادهـم. وتبلـغ مسـاحة نفوذهـا البلـدي نحو 11,777 دونماً وفق بيانات المجلس المشترك لإدارة النفايات الصلبة.

لكـن المفارقـة أن القـرارة، التـي يوحـي اسـمها بمـكان منخفـض تتجمـع فيـه الميـاه، تُعـرف أيضـاً باسـم "تلـة الـ86"، نسبة إلى ارتفاعها الذي يصل إلى نحو 86 متراً عن سطح البحر، ما جعلها من أعلى مناطق قطاع غزة.

وتشـير المصـادر إلى أن تاريـخ القـرارة أقـدم مـن شـكلها العمرانـي الحديـث؛ إذ تمتـد جذورهـا إلى عصـور قديمـة، وتضـم مواقـع أثريـة مـن بينهـا سـوق مـازن وتلـة الـ86، بينمـا تأسـس أول مجلـس قـروي فيهـا عـام 1983، وتحولـت إلى بلدية عام 1997.

وللقـرارة أيضـاً فصـل طويـل فـي تاريـخ الصـراع؛ فقـد احتُلـت عـام 1967، وأصبحـت المنطقـة المحيطـة بهـا محاطـة بمواقـع عسـكرية ومسـتعمرات إسـرائيلية، كمـا ارتبـط اسـمها بمعبـر كيسـوفيم الـذي كان أحـد مداخـل المسـتوطنين إلى قطاع غزة قبل الانسحاب الإسرائيلي عام 2005.

ولعـل أكثـر مـا يميـز القـرارة أن جغرافيتهـا صنعـت جـزءاً مـن هويتهـا: أرض خصبـة، وموقـع مرتفـع، وسـاحل قريـب، وحـدود شـديدة الحساسـية؛ مزيـج جعـل منهـا واحـدة مـن البلـدات الفلسـطينية ذات الحضـور الجغرافـي والتاريخـي الخاص في جنوب قطاع غزة.

واليـوم، لا يمكـن قـراءة القـرارة بعيـداً عـن آثـار الحـرب؛ فقـد تعرضـت البلـدة خلال الحـرب التـي بـدأت فـي أكتوبر/تشـرين الأول 2023 لدمـار واسـع، طـال المنـازل والبنيـة التحتيـة والأراضـي الزراعيـة، بعدمـا كانـت الزراعـة واحدة من أبرز ملامح اقتصادها وحياتها اليومية.

ولعـل أكثـر مـا يميـز القـرارة أن جغرافيتهـا صنعـت جـزءاً مـن هويتهـا: أرض خصبـة، وموقـع مرتفـع، وسـاحل قريـب، وحـدود شـديدة الحساسـية؛ مزيـج جعـل منهـا واحـدة مـن البلـدات الفلسـطينية ذات الحضـور الجغرافـي والتاريخـي الخاص في جنوب قطاع غزة.

ماذا تفعل الإبادة باللغة؟

يســري الغــول

بعد خروجي من غزة، ورغم أنني أعيش مرحلة ما بعد الصدمة، التي دفعت كثير من الأصدقاء مطالبتي بالتحرر من عقدة مدينة الموت قليلًا، إلا أنني شعرت بنوع من الخيانة أن أتوقف عن التواصل الإنساني الكامل مع كل شيء في مخيمي حتى الجمادات، وقلت في نفسي، كيف ينخمد الصوت وهو في مكان آمن اليوم، بينما كان يصرخ وهو يئن تحت القصف، يتحدى القذائف التي تسقط من كل حدب وصوب..

لكني إزاء ذلك، بت أبحث عن عناوين للكتابة المتعلقة بالسياسة والأدب وكذلك البحث العلمي بشكل مختلف، فالجميع يكتب والجميع يصرخ في وجه العالم كي يلتفت لآهات وأوجاع سكان مدينة هرمت وشاخت قبل أوانها، لكنها -غزة- كانت وستظل مقبرة للغزاة.

واكتشفت أن الإبادة صنعت لغة جديدة في قاموس العالم وليس في قاموس مجرة غزة وحدها، وأتساءل كغيري: كيف أصبحت كلمة إبادة ونزوح ولجوء وإجلاء وإخلاء ومجاعة وتجويع وأمن ووقف إطلاق نار وهدنة تتكرر بشكل فج حتى فقدت قدرتها على إحداث الصدمة؟

كنت قد كتبت في مقالاتي السابقة عن الأدب وتغيير العالم، والسؤال: هل يمكن للأدب بالفعل أن يمنع العالم من نسيان ما يحدث الآن؟ أم أننا نخدع أنفسنا كالعادة، فالقوي هو من يكتب خاتمة القصة؟ ثم كيف لشخص مثلي وغيري كثير، خرجوا بلا عودة من مدينتهم الحبيبة قسرًا، وصار طرح سؤال المنفى أكبر: ربما تعيش في مكان آمن يا يسري بينما يعيش الجزء الأكثر حيوية منك في مكان مجبول على الندية والقتال الشرس ضد عدو غادر، فتظل تائهًا ومعلقًا هنا وهناك. كأنك تريد صناعة لغة جديدة تحرك الدم الراكد؟ لعلك تريد أن تنهض بكل هذه الأجساد لتصنع بطلك الخارق رغم أنف مارفل وهوليود.

ولأن الأرشيف اليوم بات مقبرة كبيرة، من الصور والفيديوهات والمقالات، لدرجة بات يشعر فيها المرأ بموت الكلمات، وصارت الأصوات عدمًا، حتى أن الكلمات فقدت روحها، وصار الناس يعيشون حالة اللامبالاة في رواية القصص، كنت أنت الراوي.. فربما تستيقظ مع الصباح لتكتشف أن هناك قصف، أودى بحياة أكثير من عشرين شهيدًا، ربما يكون أخ لك أو صديق من بين هؤلاء، ثم لا تلبث أن تنتهي من دفن الجثة مع اللغة والدموع، ليأتيك خبر قصف بيتك، أو استشهاد ابنك، لدرجة صارت فيها الروح محاطة بهالة من العجز والصمت الرهيب. كأن الموت تحول إلى "هولك" أعظم من الكلمات التي تصفه.

وهنا أيضًا نتساءل: هل نتحمل مسؤولية تجريد الانسان من فردانيته، وتحويله إلى رقم، لكثرة الشهداء الذين لو تم تحويل أشلائهم إلى "فرانشكتاين"، لبطش "البطل المفترض" بالعالم حتى تتناثر شظايا الكوكب في ربوع المجرة.

وحتى الأسماء لم تعد موجودة في حضرة الأرقام، فالشظايا التي أحرقت وأهلكت الحرث والنسل، وشوهت الأجساد، دفعت المصلين ذات فجر بأحد مساجد غزة إلى وضع الأشلاء في أكياس، يتم وزنها دون احترام للعظام والأشلاء، ودون اهتمام بمشاعر وطموحات أصحابها.

ترى: لو استيقظ أحد هؤلاء ليمارس لعبة الحياة مرة أخرى ولم يجد رأسه في الكيس المدفون في حديقة المخيم، ماذا سيفعل؟ وكيف سيصل إلى بقية أشلائه التي توزعت على أكياس سوداء كثيرة؟ وهذه السيدة التي كانت تحب اللغة الإنجليزية وتحتفل بعيد ميلاد أنجلينا جولي في الرابع من يونيو، سقط البرج فوق رأسها وابنتيها، ولم يتم إزالة الركام حتى اللحظة؟ هل جاءتها أنجلينا جولي وسوزان ساراندون وبيلا حديد وتيلدا سوينتون وميريام مارغوليز في لحظات موتها الأخيرة، لتضحك قبل أن تذوي إلى الأبد؟ هل أطفأوا الشمعة الأخيرة لحياتها الغارقة في الجحيم هي وبناتها؟ ثم ماذا عن الأطفال الذي لا يعرفون معنى اللغة؟ ولم يسمعوا بكلمة "موت" إلا في فلسطين ولبنان، ما هو موقفهم تجاه الدخان الذي تسرب مع الركام فوق رؤوسهم كي يختنقوا بصمت ويتحدثوا لغة لا نفهمها.

ربما لأننا لم نسمعها أصلًا ولم نحظى بفرصة كتلك التي تحدث لمرة واحدة في العمر: أن تموت بصمت، دون أن تؤذي مشاعر العالم الكذوب، وتغرق في دمك وأحلامك.

إن أكثر ما يؤلم أهل غزة اليوم، أن الكلمة التي كانت تهز البشرية جمعاء في اليوم الأول من الإبادة قد تحولت في اليوم الألف مجرد إشعار على الهاتف، فماذا حدث لضمير العالم؟ هل تعبت الكلمات من حمل الموت؟ وماذا عن الأطفال الذين لا يتعبون من الوقوف في طوابير الذل للحصول على فتات الخبز أو قليل من طعام لا يكفي أحدًا؟ ماذا عن المدارس التي شهدت موت طلابها في قصف متكرر؟ والمستشفيات التي أبصرت إعدام المرضى بداخلها؟ والسجون التي كتمت أنفاسها بعد اغتصاب الشبان الفلسطينيين أمام عيونها، والجنود المدججون بتوصيات الحاخامات يتتابعون واحدًا تلو الآخر، ليغتصِب الشاب أمام العالم الذي يخاف من الجلاد، فقرر اعتزال الحديث عن الحريات وحقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني، وغض الطرف عن جرائم إبستين والملفات التي تفضح زعيم أكبر دولة في هذا العالم.
لعل اللغة أمام حفلات الشواء التي تتلذذ باغتصاب القاصرات وربما قتل الأطفال هناك في بلاد صنعت لغة شقراء حول الحضارة، لن تتحرك من أجل أطفال آخرين في شرق المتوسط، يحبون اللغة ويكرهون الموت. لكن حسب الواحد منا أن يوثق للتاريخ هزائم الإنسان في عصر الذكاء الاصطناعي. وانحطاط اللغة أمام الدم، وعجز البشرية أمام مخططات امتلاك مقدرات الشعوب والأمم والأرض لأجل الأثرياء.
سقطت اللغة أمام الدم، ولكن بقي الموقف.

عالم الأحياء "شبير"..
حين يخسر العلم أحد حراسه

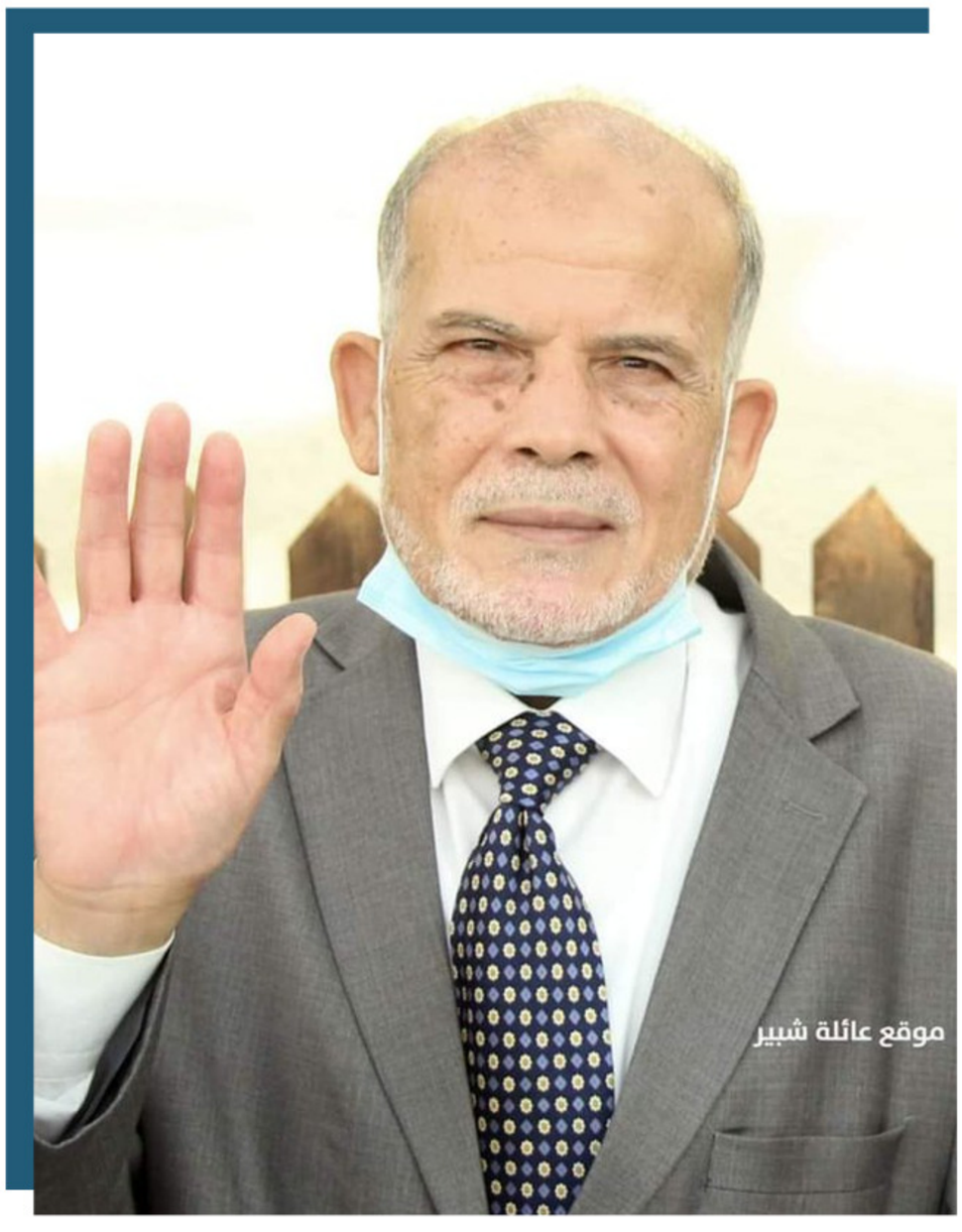
موقع عائلة شبير

في غزة، حيث تبدو آلة الموت الإسرائيلية قادرة على الوصول إلى كل شيء، لم يكن العلماء بعيدين عن مرماها. ومن بين الأسماء الأكاديمية التي فقدتها غزة خلال الحرب، الأستاذ الدكتور محمد عيد حماد شبير؛ عالم الأحياء الدقيقة، وأحد أبرز الأكاديميين الذين ارتبطت أسماؤهم بتاريخ الجامعة الإسلامية في غزة.

وُلد شبير في مدينة خان يونس عام 1946، ونشأ فيها قبل أن ينتقل إلى مصر للدراسة الجامعية. حصل على بكالوريوس الصيدلة من جامعة الإسكندرية عام 1968، ثم واصل تخصصه في العلوم الطبية والتحاليل الطبية، وحصل على الماجستير في علم الأحياء الدقيقة من الجامعة نفسها، قبل أن ينال الدكتوراه في الأحياء الدقيقة السريرية من جامعة وست فرجينيا في الولايات المتحدة عام 1990. كما حصل على دبلوم في التحاليل الطبية من جامعة القاهرة.

عاد شبير إلى غزة محملاً بتخصص علمي كان في أمسّ الحاجة إليه في بيئة صحية تعاني محدودية الإمكانات. بدأ محاضراً في الجامعة الإسلامية، ثم تدرج في السلم الأكاديمي؛ فأصبح أستاذاً مساعداً ومشاركاً في قسم التحاليل الطبية بكلية العلوم، ثم ترأس القسم، قبل أن يتولى عمادة كلية العلوم.

وفـي عـام 1993، انتقـل مـن المختبـر وقاعـات التدريـس إلى قيـادة الجامعـة الإسلاميـة، ليصبـح رئيسـاً لهـا، وهـو المنصـب الـذي شـغله لأكثـر مـن عقـد، قبـل تقاعـده عـام 2006/2005، ثـم واصـل نشاطه الأكاديمي والتدريسي والبحثي.

لكـن رئاسـة الجامعـة لـم تُبعـده عـن تخصصـه الأول. ظـل شـبير حاضـراً فـي المؤتمـرات العلميـة والفعاليـات الأكاديميـة، وشـارك فـي أبحـاث وأعمـال تناولـت التحاليـل الطبيـة والأحيـاء الدقيقـة والتلـوث الميكروبـي. وتشـير مصـادر إلى أنـه أنجـز خلال فتـرة رئاسـته للجامعـة أكثـر مـن 15 بحثـاً في مجال التحاليل الطبية.

وكانـت اهتماماتـه العلميـة مرتبطـة أيضـاً بواقـع غـزة الصحـي. ففـي إحـدى الفعاليـات الأكاديميـة، تنـاول شـبير تاريـخ الأمـراض والمشـكلات الصحيـة المرتبطـة بالحـروب، فـي وقـت كانـت فيـه غـزة تعيش أصلاً تحت ضغط متكرر من الحروب والحصار وتدهور النظام الصحي.

ولـم يكـن تأثيـره محصـوراً داخـل الجامعـة. فقـد كان عضـواً فـي جمعيـة الميكروبيولوجـي الأميركيـة، وشـارك فـي مؤتمـرات علميـة داخـل فلسـطين وخارجهـا، مـا جعلـه واحـداً مـن الأكاديمييـن الفلسطينيين الذين حافظوا على حضور علمي يتجاوز حدود القطاع.

وفـي نوفمبر/تشـرين الثانـي 2023، انتهـت تلـك الرحلـة، إذ قُتـل شـبير فـي منزلـه بمدينـة غـزة خلال الحـرب، فـي ضربـة جويـة إسـرائيلية، بحسـب مصـادر توثيقيـة وإعلاميـة. وتشـير مصـادر إلى أن عدداً من أفراد عائلته قضوا معه.

"ربمـا لأننـا لـم نسـمعها أصلًا ولـم نحظـى بفرصـة كتلـك التـي تحـدث لمـرة واحـدة فـي العمـر: أن تمـوت بصمـت، دون أن تـؤذي مشـاعر العالـم الكـذوب، وتغـرق فـي دمـك وأحلامك".

الكاتب يسري الغول

@MOKHY3M

تابعونا على انستجرام

غزة - فلسطين

سبتمبر ٢٠٢٦